

السباق الى البحر الابيض المتوسط بين ايران واسرائيل والمتاح بيد السعودية

بقلم: يوسي ملمان

ممران بريان يشغلان متخذي القرارات في اسرائيل: الاول يشكل مصدرا للقلق والثاني يشكل مصدرا للأمل. والاثنان يتم تحريكهما بناء على نفس الاستراتيجية وهما يتعلقان بالسعودية. الممر الاول باسم "الهلل الشيعي"، وهو محاولة ايران استغلال الفوضى في سوريا والعراق من اجل اقامة جسر بري بين ايران والمناطق الشيعية في شمال العراق، التي توجد الآن تحت تأثير طهران، وحتى سوريا ولبنان. وبهذا تحقق ايران موطيء قدم ومنفذ الى البحر المتوسط عن طريق ميناء اللاذقية في المنطقة العلوية.

مثلما كتب هنا في عدة مناسبات، فان انشاء الممر الشيعي سيسهل على ايران ارسال القوات والسلاح الى سوريا ولبنان، هذه العملية التي تحدث الآن من خلال القطارات الجوية التي تستخدمها في مطار دمشق. وهذا الامر سيصعب على اسرائيل الحصول على المعلومات الاستخبارية عن قوافل السلاح التي تسير في طريقها وتشويش حركتها من خلال القصف الجوي الذي نسب اليها في السنوات الاخيرة. وهذا الممر يشير ايضا الى مناطق تأثير ايران والخريطة الاقليمية الاستراتيجية. وبهذا يمكنها انشاء طرق بديلة لتعزيز قوة حزب الله، بما في ذلك القدرة على انتاج وتطوير الصواريخ في لبنان.

جميع من لهم صلة بالحروب في سوريا والعراق يستعدون لليوم التالي، اليوم الذي سيتم فيه القضاء على داعش وعلى فكرة الخلافة الاسلامية الجغرافية. إن جهود اقامة الخلافة البديلة في اماكن مختلفة في العالم - المكان المطروح الآن هو الفلبين - ستستمر. والى جانبها ستستمر محاولات المتطرفين الاسلاميين لتنفيذ العمليات في الغرب. فليس ممكنا قتل فكرة ايديولوجية. ولكن عندما سيستكمل الجيش العراقي احتلال الموصل، والمليشيات الكردية تقوم باحتلال الرقة "عاصمة الخلافة الاسلامية" سينشأ واقع جديد من شأنه أن يسقط مثل ثمرة ناضجة في أيدي ايران برعاية روسيا. الضغط الامريكي فقط يمكنه منع ذلك. ولكن ليس من الواضح ما هو موقف الولايات المتحدة، هذا اذا وجد موقف أصلا. في التصريحات الرسمية تزعم واشنطن أن تدخلها في سوريا والعراق له هدف واحد وهو هزيمة داعش. وقد سمعنا ذلك بوضوح في هذا الاسبوع من قادة في الاسطول الامريكي اثناء زيارة المراسلين الاسرائيليين لحاملة الطائرة "جورج بوش"

التي رست في ميناء حيفا .

بغض النظر عن امكانية تحليل موقف ادارة ترامب، يدور جدال قوي بين معسكرين حول هذا الامر. الاول برئاسة وزير الخارجية الامريكى ريكس تلسون، ويبدو ايضا وزير الدفاع جيمس ماتيس، الامر الذي يعتبر أن دور الولايات المتحدة يجب أن ينتهي في اللحظة التي ينتهي فيها داعش، وأنه يجب افساح المجال لروسيا كي ترسم مستقبل سوريا. معسكر آخر بقيادة عدة موظفين رفيعي المستوى في مجلس الامن القومي يحاول اقناع ترامب بأنه يجب على الولايات المتحدة لعب دور ناجح في سوريا ومنع تحولها الى منطقة تأثير لروسيا وايران.

اسرائيل تفضل بالطبع استمرار واشنطن في لعب دور حاسم في سوريا، ايضا بعد انتهاء المعارك، وأن تمنع بشكل خاص الوجود الايراني أو الميليشيات التابعة بها ومنها حزب الله قرب الحدود في هضبة الجولان. ولكن ليس من الواضح ما هي الجهود التي يبذلها المستوى السياسي والامني في اسرائيل من اجل التأثير، ولو بشكل غير مباشر، على الخطوات الدبلوماسية المتعلقة بمستقبل سوريا، والتي تحدث في نفس الوقت في عدة اماكن في العالم. اسرائيل قامت بابعاد نفسها عن المشاركة في المحادثات التي تجري في كازاخستان، وقررت عدم المشاركة ايضا في المحادثات التي تجري بين الاردن والولايات المتحدة وروسيا حول اقامة مناطق أمنية في جنوب سوريا، ليس بعيدا عن الحدود مع اسرائيل.

هذا الموقف يقوده وزير الدفاع افيغدور ليبرمان، الذي أكد على ذلك في لقاء له مع المراسلين في هذا الاسبوع. صحيح أن ليبرمان قال إن اسرائيل لن توافق على أي اتفاق يبقي الاسد بشكل شرعي، المسؤول عن قتل 600 ألف شخص وعن استخدام الغاز. "ممنوع أن نوافق على اتفاق يسمح ببقاء المحور الشيطاني"، لكنه أكد على أن غياب اسرائيل عن النقاشات لن يضر بمصالحها الحيوية: "أي اتفاق يناقض مصالحنا لن يكون ملزما لنا. نحن لن نوافق على تدخل ايران أو حزب الله".

موقف وزير الدفاع راسخ ايضا، حسب اقواله، في الاعتراف بحدود قدرة اسرائيل. "ممنوع أن تطور جنون العظمة. اللعبة هي الآن بين روسيا والولايات المتحدة"، قال وزير الدفاع للمراسلين. "هناك مصالح دولية لا يمكننا التأثير فيها". وأضاف ليبرمان بأنه بدون مشاركة اسرائيل في المحادثات "لدينا القدرة على ايمال رسائلنا ومواقفنا ونحن نقوم بالتحدث مع جميع الاطراف".

هناك من يعتقد في المؤسسة العسكرية والامنية أن موقف ليبرمان من شأنه أن يضر بمصالح اسرائيل الحيوية. ويذكرون في هذا السياق القول المأثور حول الشرق الاوسط "إذا لم تشارك في أكل الوجبة فقد تكون أنت الوجبة نفسها".

موقف ليبرمان يعتمد ايضا على حقيقة أنه اضافة الى اسرائيل، فان لايران الكثير من الأعداء في الشرق الاوسط. ومعظم العالم العربي السني يخاف منها ويعاديها. وعلى هذه الخلفية، واعتمادا على القول القديم "عدو عدوي هو صديقي"، هناك تقارير في وسائل الاعلام الاجنبية تقول إن العلاقة بين اسرائيل والسعودية تعززت في السنوات الاخيرة. واذا كان هذا الامر صحيحا، فان هذه العلاقة هي التي تحرك اقامة

الممر البري الثاني.

وبشكل رسمي، اسرائيل والسعودية توجدان في حالة حرب، اضافة الى جيوش عربية اخرى، ارسلت السعودية جيش صغير شارك في حرب الاستقلال في العام 1948، وفعلت ذلك ايضا في حرب الايام الستة. وفي العام 1973 قامت بفرض حصار النفط على الولايات المتحدة وغرب اوروبا في محاولة للمساعدة في جهود الحرب لسوريا ومصر.

ولكن منذ بداية الثمانينيات بدأ يحدث تحول في موقفها من اسرائيل والموضوع الفلسطيني. الكلمات المفصلية لفهم سياسة السعودية الخارجية هي "الأمن" و"الاستقرار": يمكن اعتبار الصهيونية معتدية، لكن في نفس الوقت يمكن ايجاد مصالح مشتركة. لهذا ليس غريبا أن السعودية تقف من وراء مبادرات وخطط لانهاء الصراع الاسرائيلي الفلسطيني. الخطة الاولى من هذه الخطط كانت مبادرة الملك فهد في العام 1998 عندما كان وليا للعهد، التي طالبت اسرائيل بالانسحاب من جميع المناطق، بما فيها القدس العربية، والاعتراف بحق العودة أو دفع التعويضات لمن لا يريد العودة. وبند آخر كان بمثابة الاعتراف باسرائيل قال إنه من حق جميع الدول في المنطقة العيش بسلام. واسرائيل برئاسة رئيس الحكومة مناحيم بيغن رفضت هذه المبادرة.

بعد مرور عشرين سنة على ذلك بادرت السعودية الى خطوة سياسية اخرى. وقامت بطرح خطة وضعها الملك عبد الله عندما كان في حينه وليا للعهد. وتحدثت الخطة عن تطبيع العلاقات ولم تذكر مشكلة اللاجئين. تبنت الجامعة العربية المبادرة السعودية، لكنها أدخلت عليها بعض التعديلات. ولكن اسرائيل تجاهلت هذه الخطة. ورغم ذلك بقيت مصالح الدولتين متشابهاة وتعاطمت من حول المصلحة الاساسية المشتركة: منع ايران من الحصول على السلاح النووي وكبح جهودها من اجل السيطرة الاقليمية.

على هذه الخلفية، وبناء على تقارير اجنبية، التقى موظفون اسرائيليون رفيعو المستوى مع موظفين سعوديين في السابق. ونشرت وسائل الاعلام في السنوات الاخيرة أن عدد من رؤساء الموساد المسؤولين عن العلاقات السرية مع الدول والحركات التي ليس لها علاقة علنية مع اسرائيل، قاموا باجراء محادثات مع شخصيات سعودية كثيرة.

في هذا السياق نذكر اسم الامير بندر بن سلطان، الذي كان حتى ما قبل بضع سنوات رئيس الاستخبارات ورئيس مجلس الامن القومي. الامير بندر يعتبر العدو الاكبر لايران. وفي المقال الذي نشرته "الغارديان" عنه قبل بضع سنوات كتب أنه بسبب عداته للجمهورية الاسلامية الشيعية "أيد العلاقات مع اسرائيل". ووثائق "ويكيليكس" تؤكد على ذلك ايضا.

حسب مصادر اجنبية، جرى لقاء بين رئيس الموساد السابق مئي ردغان واشخاص من السعودية. وتحدثت وسائل الاعلام الاجنبية عن أنه في 2007 جرى لقاء سري بين رئيس الحكومة السابق اهود اولمرت والامير بندر بن سلطان. وفي احد التقارير جاء أن اسرائيل بحثت مع السعوديين امكانية تحليق طائرات سلاح الجو الاسرائيلي في سماء السعودية اذا قررت اسرائيل مهاجمة المنشآت النووية الايرانية. دغان، خلافا

للانطباع الذي نشأ في اوساط الجمهور، خاصة بعد استقالته في 2010 وحتى وفاته في السنة الماضية، لم يعارض مبدئيا الهجوم الاسرائيلي. وفي الاحاديث التي جرت معه أكد على أن الضربة العسكرية يجب أن تكون الخيار الاخير "أي عند وجود السكين على الرقبة".

إذا كان صحيحا أن دغان وشخصيات اسرائيلية اخرى قد تحدثت عن التحليق في مجال السعودية الجوي، فإن لذلك أهمية في هذه الايام، حتى لو في سياق مختلف.

رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو وليبرمان ووزراء آخرون يتحدثون عن العلاقة بين اسرائيل والعالم العربي السني. ولكن كل واحد يعرف من يقصدون. يمكن القول إن كل مصادقة أو ذكر لعلاقة معينة ستخرج الحكومات. وهناك الكثير مما ينشر خارج البلاد، ومن ضمنها "انترناشيونال أون لاين"، حول زيارات رجال اعمال اسرائيليين لدولة الامارات، وأن قطر هي الوسيطة بين اسرائيل وحماس، وعن التجارة الامنية مع أبو طبي، وتم في الماضي الحديث عن زيارة رئيس الموساد افرايم هليفي لسלטنة عمان. وحسب وثائق "ويكيليكس" فان الموساد يتعاون مع البحرين. ويضاف الى كل ذلك التقارير حول بيع تكنولوجيا الهاي تيك والسايبر والخدمات الامنية المتعددة.

هنا يدخل الى الصورة الممر البري الثاني؛ فكرة وزارتي المواصلات والاستخبارات برئاسة اسرائيل كاتس، اقامة شبكة سكة حديد تربط اسرائيل مع العالم العربي. حسب خطة الوزارة، خط القطار من حيفا الى بيسان تتم اطالته بـ 12 كم حتى جسر الملك حسين على معبر الحدود مع الاردن. اضافة الى ذلك هناك خطة لشق طريق من العفولة باتجاه معبر الجلعة في جنين. ربط سكة الحديد مع الاردن ومع السلطة الفلسطينية يمكن من نقل البضائع من هناك مباشرة الى ميناء حيفا وبالعكس، وليس فقط بالشاحنات مثلما يحدث اليوم. المرحلة الثانية حسب وزارة المواصلات هي أن يقوم الاردن بوضع سكة من مدينة اربد باتجاه الحدود في جسر الملك حسين. وبهذا تكون هناك قطارات مباشرة من اسرائيل الى الاردن ومنه الى باقي العالم العربي؛ العراق، السعودية وحتى الامارات. وتحدث موظفون اسرائيليون عن ذلك قبل ثلاث سنوات مع موظفين اردنيين، لكن لم يحدث أي تقدم. ومؤخرا تم استئناف النقاش في هذا الامر.

اليوم يتم بناء ميناءين جديدين في حيفا وأسدود، وأحد الخيارات التي يتحدث عنها كاتس هو تأجير ميناء حيفا القائم حاليا لجهة دولية، تقوم ايضا بتشغيل خط القطار الى الشرق، الامر الذي سيسهل على تطبيق المبادرة، من الناحية الاقتصادية والسياسة ايضا. الأمل هو أن تقوم الشركات الامريكية بالمنافسة على العطاء المستقبلي حول هذا الامر، مع أن الوزير كاتس خاب أمله بسبب عدم وجود اهتمام للامريكيين بالأمر.

وثيقة رسمية في وزارة المواصلات باسم "سكة السلام الاقليمية" تعتبر أن اسرائيل "جسر بري" وأن الاردن "مركز". وحسب الوثيقة "ستساهم المبادرة في تحسين اقتصاد اسرائيل وستعزز الاقتصاد الضعيف في الاردن وستربط اسرائيل مع المنطقة وتزيد من قوة المعسكر البراغماتي في مواجهة الخط الشيعي".

حسب هذه الوثيقة، الشراكة الاقليمية حيوية لأن "الحرب في سوريا والعراق أضرت بالطرق البرية

واغلقها“. ويمكن أن تكون اسرائيل بديلا لذلك. اضافة الى ذلك فان انتشار ايران يضع ”تهديدا للمسارات المائية“ بسبب نشاطها في الخليج الفارسي ومضائق هرمز ومضيق باب المندب في المحيط الهندي، حيث أن الحوثيين في اليمن يحاولون السيطرة عليها.

من الآن، بدون أي صلة مباشرة لسكة الحديد، يتم ارسال البضائع في اتجاهين، من اسرائيل الى العالم العربي ومن الدول العربية الى اسرائيل. الحديث يدور عن منتجات زراعية (التمور للعراق) ومواد استهلاكية ووسائل ري وغيرها. وتأتي من دول الخليج مواد اولية من الصناعات البتروكيماوية لمصانع البلاستيك في الغرب. وقد قيل في السابق إن هناك نفط من السعودية يمر في اسرائيل. معظم الصفقات تتم من خلال طرف ثالث: تجار ورجال اعمال من السلطة الفلسطينية والاردن وقبرص وكردستان. ولكن هناك صفقات تتم مباشرة.

تحدثت صحيفة بريطانية مؤخرا عن وجود اتصالات لتمكين طائرات ”الغال“ من دخول المجال الجوي السعودي اثناء توجهها الى الشرق الاقصى. وبهذا يتم تقليص مدة الرحلة. ولكن المصادر المطلعة تعتقد أن الرياض غير ناضجة بعد لخطوة كهذه، التي تعتبر مثابة تطبيع للعلاقة مع اسرائيل. وطالما أنه ليس هناك تقدم في العملية السلمية مع الفلسطينيين، فعلى أغلب الظن سيتم السماح لشركات الطيران الاجنبية بالقدوم الى مطار بن غوريون من خلال المجال الجوي السعودي. احدى هذه الشركات هي شركة ”إير انديا“ التي زار رئيس حكومتها اسرائيل في هذا الاسبوع، وناقش ايضا موضوع توسيع التعاون بين الدولتين في مجالات كثيرة.

معاريف 7/7/2017